الفصل السابع

المحن والارتقاء والآمال

كان الوضـع في مكة يزداد سوءاً، وكان من بين أشد خصوم الإسلام شراسة، إلى جانب أبي لهب وأبي جهل، عمر بـن الخطاب، وكان هذا الأخـير قـد اشتهر لكونـه قام بضرب امـرأة دخلت حديثـاً في الإسلام ضرباً عنيفاً.

عمر بن الخطاب

كان قـد بلغ السخط مبلغاً كبيراً من عمـر جراء ما آلت إليه الأحداث. فقـرر أن الشـيء الوحيد الـذي يمكنه عمله هو أن يقتـل النبي ﷺ. فهذه أضمـن وسيلة لوضع نهاية لحالة الفوضـى والفتنة اللتين فشتا في المجتمع المكي وعرضتا ذلك المجتمع برمته للخطر.

خـرج من بيته، وسيفه بيـده، يبحث عن محمـد ﷺ. في طريقه، لقي نعيـم بن عبد الله رضي الله عنه، الـذي كان قد اعتنـق الإسلام سـراً، فسأله نعيم عـن سـر غضبه وأخبره عمر عـن عزمه على قتل النبـي ﷺ. ففكر نعيم بسرعـة عن وسيلة لصرفه عن تنفيذ خطتـه: فنصحه بأن يرجع إلى أهل بيتـه قبل التصدي لمحمـد ﷺ. فأخبره أن أخته فاطمـة وزوجها سعيد ـ رضـي الله عنهمـا ـ قد اعتنقـا الإسلام، ذهل عمر وغضـب وغير خطته وانطلق مباشرة إلى بيت أخته.

obeikandi.com

كانت أخته وزوجها يتلوان القرآن مع خباب رضي الله عنه، وهو من شبان الصحابة، عندما سمعوا شخصاً يقترب من منزلهم، توقف خباب رضي الله عنه عن التلاوة واختبأ، لكن عمر كان قد سمع صوت التلاوة داخل البيت، فسألهما ببرود عما كانا يتلوانه، فأنكرا ذلك، لكن عمر أصر على أنه سمعهما بكل تأكيد يتلوان نصاً من النصوص، فرفضا مناقشة الموضوع، الأمر الذي جعل عمر يستشيط غضباً، فانقض على ختنه يريد ضربه وعندما حاولت أخته التدخل، لطمها وأسال دمها، فكان لمنظر الدم على وجه أخته أثر فوري فتوقف عمر. في تلك اللحظة، قالت أخته بقوة: «نعم، لقد أسلمنا ونؤمن بالله ورسوله. فاصنع ما بدا لك»[1]. ذهل عمر؛ كان يتنازعه الندم، لكونه آذى أخته، والحيرة بشأن الأنباء التي بلغته للتو. فطلب من أخته إعطاءه ما كانت تقرؤه عند وصوله، فطلبت أخته منه أن يتطهر قبل ذلك، وقد شعر عمر بالتعقل لكنه ظل منزعجاً واستجاب لطلب أخته وتوضأ ثم أخذ يقرأ:

﴿ طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن
يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى
ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا
وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[2].

كانت هذه الآيات الأولى التي قرأها ثم تابع قراءة الآيات التي كانت سرداً لدعوة الله لموسى عليه السلام في جبل سيناء، إلى أن وصل إلى الآية:

openkanal.com

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾[3].

توقـف عمر عن القراءة وأعرب عن إعجابه بجمال ونبل تلك الكلمات. عندهـا تشجـع خباب من موقف عمـر الإيجابي على ما يبـدو، فخرج من المخبأ وأخبره بأنه سمع النبي ﷺ يدعو الله بأن ينصر المسلمين إما بأبي الحكـم أو بعمر بن الخطاب[4]. سأله عمر عن مكان محمد ﷺ، وعندما أخبره بأنه في دار الأرقم ذهب إلى هناك. ولما وصل إلى الباب، شعر الذين كانـوا في البيت بالخـوف لأن عمر كان لا يزال معه السيف في حزامه. لكن النبـي ﷺ قال لهم بـأن يدخلوه وقام عمر على الفور بالإعلان عن عزمه علـى دخول الإسـلام. فهتف الرسـول: «الله أكـبر!» ورأى في اعتناق عمر للإسلام استجابة لدعوته.

كان النبـي ﷺ يعـرف أنـه لا يستطيـع السيطـرة على القلـوب، ففي مواجهـة الاضطهاد، وفيمـا كان يعاني من صعوبات جمـة، توجه إلى الله آمـلاً أن يهـدي الله أحد الرجلين اللذيـن كان يعـرف أن فيهما الصفات البشريـة فضلاً عن القوى اللازمة لعكس وضـع الأشياء، وكان النبي ﷺ يعـرف بالضبط أن الله وحده هو الذي بيده هداية القلوب، فبعض الأفراد يحتاجون إلى وقت طويل قبل أن يهتدوا، لا بد لهم من سنوات من التساؤل والشـك، والتقـدم والتراجـع، بينما كان آخـرون يهتدون علـى الفور، بعد قراءة نص أو استجابة لبادرة أو سلوك معينين، وهذا ما لا يمكن تفسيره. ولم تكن الهداية التي استغرقـت أطول الوقت هي الأكثر متانة بالضرورة، والعكـس ليس صحيحاً أيضاً: فعندما يتعلـق الأمر بالهداية وتقلب القلوب

والإيمان والحب لا يوجد منطق وكل ما يبقى هو القوة الإلهية الخارقة، كان عمـر رضي الله عنه قد خـرج من بيته وهو مصمم على قتل النبـي صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان قـد أعماه إنكاره للإله الواحد، وها هو، بعد بضع ساعات، قد تغير وتحول جراء هداية حركتها آيات قرآنية والمعنى الإلهي، وكان من شأنه أن يصبح واحداً من أشد المسلمين إخلاصاً للرجل الذي كان يروم قتله. ما كان لأحد من المسلمين أن يتصور بأن يهتدي عمر رضي الله عنه إلى رسالة الإسلام، التي كان يعـبر عن كراهيته لها بقوتـه المعهودة، لقد كان الانقـلاب الذي طرأ على قلبـه آية، تنطوي على درس مزدوج: أنه مـا من شيء يعجز عنه الله، وأنه يجب عدم إطلاق الأحكام النهائية على أي شيء أو أي شخص. كانت هذه تذكـرة جديدة بالحاجة إلى التواضـع في جميع الظروف: فبالنسبة لكائن بشـري، إن تذكر قدرة الله اللا متناهيـة، يجب أن يعني شكاً صحياً بذاته هـو وتعليق إصدار الأحـكام بالنسبة للآخرين، وهكـذا فكلما ازداد النبي صلى الله عليه وسلم قربـاً من الله -حيث كان كل يوم أكثر قدوة لصحابته وللأبدية- كان يتحقق فيه التواضع الذي كان يتجلى في وجوده ومعرفته وحكمته.

كان عمر رضي الله عنه، بما أوتي من جرأة وشجاعة، قد قرر الإعلان عن دخوله في الإسـلام، فذهب على الفور إلى أبي جهـل لإخباره عن إسلامه، واقترح علـى النبـي صلى الله عليه وسلم بـأن يصلوا علناً عنـد الكعبـة(5). وقد انطـوى هذا على مخاطر بالطبع؛ لكن الأمر كان يتعلق بأن يظهروا لزعماء عشائر قريش أن للمسلمين وجوداً بينهم وأنهم مصممون على المضي في رسالتهم. وقد دخل عمر وحمزة ـ رضي الله عنهما ـ المعروفان بقوة الشكيمة الكعبة وصليا قبل بقية المسلمين الذين صلوا بعدهم جماعة دون أن يجرؤ أحد على منعهم.

النفي

على أن الأمور قد بلغت حداً لا يمكن السكوت عليه. فكان التوتر يزداد يوماً بعد يوم، وشعر زعماء قريش الذين اجتمعوا للتشاور في طريقة لوضع حد لهذا التوسع البطيء، بأنه أصبح من المحتم عليهم اتخاذ تدابير أكثر جذرية، كان أوائل الذين دخلوا في الإسلام ينتمون إلى جميع القبائل، الأمر الذي جعل من المتعذر عليهم اللجوء إلى إستراتيجية تقوم على أساس التحالفات التقليدية، فبعد مناقشات طويلة وحامية الوطيس، التي كانت بذاتها تقسم العشائر من الداخل، قرروا محاصرة جميع بني هاشم، وهم عشيرة محمد ﷺ، وفرض مقاطعة تامة ضد العشيرة وأفرادها.

ثم تعاهد نحو أربعين من زعماء قريش ووقعوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وقرر أبو لهب، الذي كان ينتمي إلى عشيرة هاشم، أن يتبرأ من عشيرته ويدعم المقاطعة، مخالفاً بذلك أعراف الشرف التقليدية، أما أبو طالب فقد اتخذ موقفاً معاكساً وظل يدعم ابن أخيه، الأمر الذي أجبر قريش على أن تشمل بحكم الواقع عشيرة المطلب في المقاطعة، كان هذا قراراً جذرياً، إذ إنه كان يعني ضمنياً تجنب أي اتصال بأفراد العشيرة، فلن يعودوا إلى الزواج من بناتهم وأبنائهم ولا الاتجار معهم أو إقامة أي اتصال معهم، إلى ما هنالك، وكان من المفترض أن تكون المقاطعة شاملة وأن تستمر طالما ظلت العشيرتان تسمحان بمواصلة محمد ﷺ الدعوة إلى رسالته، كانوا يريدون أن ينهي مهمته ولا يتحدث أبداً عن الله الواحد الأحد.

قـررت عشيرتا بني هاشم والمطلب، حرصاً علـى أمنهما، الانتقال معاً إلى منطقة واحدة في وادي مكة، ومع أن المقاطعة لم تكن كلية ـ حيث كان الأقـارب يوصلون الطعـام والبضائع خفية إلى بني هاشـم ـ إلا أن الوضع أصبح خطيراً، وازداد عـدد الذين أصبحوا يعانون من المرض والجوع من بينهـم، ودامت المقاطعـة أكثر من ثلاث سنـوات وأضعفت العشيرتين من الناحيـة الاقتصادية، فقد خسر أبـو بكر رضي الله عنه معظم ثروته نتيجة المقاطعة وأصبحت الضغوط الاجتماعية والنفسية لا تحتمل.

كان يوجـد مـن بـين أفـراد قريش مـن يـرون أن هـذه المقاطعة غير ضروريـة، إن لم تكـن عديمـة الفائـدة، وكان بعضهـم بالطبـع مرتبطين بالعشـيرة بروابـط القرابـة، التي يتعـذر نسيانهـا أو التنكـر لها، وجرت محـاولات عديدة لوضع حد للمقاطعة خلال تلـك السنوات الثلاث، لكنها لم تنجح أبداً لأن عدداً من الشخصيات الأساسية، مثل أبي لهب وأبي جهل يرفضـون مناقشة الموضوع، وأخيراً حدث التغيير بمبادرة من بضعة أفراد يبحثـون عن الحلفـاء في كل من العشيرتين، فبينمـا كان الناس متجمعين قـرب الكعبة، خاطب أحدهـم الآخرين، وأعرب عـن معارضته للمقاطعة المفروضـة علـى بني هاشم. ثـم انضم إليه رجل من بـين الجماعة، وتلاه آخـر، ثم شخص رابع، وحاول أبو جهل التدخل، لكن المجتمعين الذين كان الكثـيرون منهم يرون ذلـك الرأي لكنهم لم يكونوا يجـرؤون على الكلام، أجمعوا على معارضة المقاطعة، وذهب أحد أفراد المجموعة التي بادرت في القيام بهذا التمرد إلى داخل الكعبة، وتناول الصحيفة التي تضمنت قرار

المقاطعة ومزقها، وشعر المتشددون أنه لا فائدة من المقاومة فتم بذلك رفع الحصــار، وكان الغوث ملموساً لــدى العشيرتين المنفيتين، حيث إن الوضع كان قد أصبح لا يحتمل.

عام الحزن

تحســن وضــع المسلمين عــدة أشهر بعد انتهــاء المقاطعة. فعــادوا إلى إقامة علاقات من الصداقة والعمل مع القرشيين، وواصل النبي ﷺ نشر رسالتــه وأصبح الظهــور العلني الذي استهله عمــر بن الخطاب رضي الله عنه واقعاً يومياً في مكة، مع أن الإهانات والاضطهاد لم تتوقف.

لكن سرعــان ما تغيرت الأوضاع تغيراً مثــيراً. فقد توفيت زوجة النبي ﷺ، خديجة ـ رضي الله عنها ـ بعد فترة وجيزة من رفع المقاطعة، كانت خديجة زوجة للنبي ﷺ ورفيقته في الدين وأوثق الداعمين له طيلة خمس وعشرين سنة، وتوفاها الله بعد تسع سنوات من بداية الدعوة، في (619م). حــزن النبي ﷺ حزناً عميقــاً لوفاتها: كان قد تلقى في مرحلة مبكرة، من الملــك جبريل، نبأ اختيار خديجة ـ رضي الله عنها ـ وكان يعرف أن وجود خديجة ـ رضي الله عنها ـ إلى جانبه كان من آيات حماية ومحبة الله له، ففــي ضوء وجودهــا والدور الذي قامت به في حياتــه، يمكن تقدير المعاني المتعددة الممكنة لآية سيتم تنزيلها بعد مدة طويلة جاء فيها وصف العلاقة بين الزوج وزوجته: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾(6). لقد كانت الدرع الذي يحمي (عاطفياً ومادياً)، ويخفي (حالات الضعف والشكوك فضلاً عن الثروة)، ويوفر الدفء والقوة والمركز والعزة والتواضع.

ولم يمض وقت طويل على وفاتها حتى مرض أيضا أبو طالب، الذي كان يمنع النبي ﷺ حتى ذلك الوقت من قريش، وقد زاره النبي ﷺ وهو على فراش الموت، وأكد أبو طالب أنه كان سعيداً في حماية ابن أخيه، الذي كان دائماً متواضعاً وعادلاً، ودعاه محمد ﷺ إلى النطق بالشهادة قبل الرحيل، لكي يشفع له فيها عند الله، لكن أبا طالب الذي كان حريصاً على مفاهيم الشرف لدى العشيرة، قال إنه يخشى أن تظن قريش بأنه نطق بالشهادة خوفاً من الموت، ولم يكن هنالك وقت لبحث الموضوع أكثر من ذلك: فقد توفي أبو طالب والنبي ﷺ إلى جانبه، فهذا الرجل، الذي قام بشهامة وشجاعة بمنح الشاب حمايته، وحبه واحترامه، لم يدخل في الإسلام، وكان محمد ﷺ يحبه، ويحترمه، لذا فقد كان حزنه شديداً وعميقاً. عن هذا الحزن وانعدام الحول والقوة، نزلت آية بشأن هذا الحدث لتقرر درساً خالداً بشأن أوضاع القلوب وأسرارها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[7].

في غضون بضعة شهور، بدا أن النبي ﷺ أصبح عرضة للأذى أكثر من ذي قبل: لقد فقد الشخص الذي منحه الحب والشخص الذي منحه الحماية. على أنه، رغم حزنه، كان عليه أن يتصرف بسرعة ويجد الوسيلة لحماية جماعة المسلمين الذي ظلوا مقيمين في مكة، فقرر محمد ﷺ البحث عن الدعم خارج المدينة.

الطائف، والرقيق

قصد النبي ﷺ بلدة الطائف وتحدث إلى زعماء قبيلة ثقيف، على أمل أن يستجيبوا لرسالة الإسلام ويوافقوا على حماية المسلمين من أعدائهم.

لكنــه استقبل استقبالاً في غاية البرود، وسخر الزعماء من قوله بأنه نبي. فقـد سألوا كيـف يسمح الله لرسولـه أن يطلب الدعم مـن قبائل غريبة؟ ولكنهـم لم يكتفوا برفض مناقشــة المسألة بل إنهم أغروا الناس به: ففيما كان يغادرهـم كانـت الإهانات تلاحقه وكان الصبيــة يقذفونه بالحجارة. وتجمـع الكثير من الناس وأخـذوا يسخرون منه وهو يمر بهم، وأخيراً لجأ إلى بستــان هرباً من الذين كانوا يلاحقونــه. وبعد أن بقي وحيداً ولم يجد حماية من البشر، توجه إلى الواحد الأحد وأخذ يدعو بهذا الدعاء:

> «اللهـم إني أشكو إليـك ضعف قوتي وقلة حيلتــي وهواني على النــاس، يا أرحـم الراحمين، أنــت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى غريب يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكــن بــك غضب علي فلا أبالي، لكــن عافيتك أوسع لي. أعــوذ بنور وجهك الــذي أشرقت له الظلمــات وصلح عليه أمر هــذه الدنيــا والآخـرة مــن أن يحل علــي غضبــك أو ينزل بي سخطك، ولك العتبــى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[8].

لقد توجه إلى الواحد الأحد الذي يحميه والذي يتوكل عليه عندما سُدّت في وجهــه السبل، لم تكن الأسئلة التي طرحها تعــبر عن شك بشأن بعثته، لكنهــا أعربت بوضــوح عن عجزه كبشر وعن جهلــه بمقاصد الله، في تلك اللحظــة بالذات، وبعيداً عن بقيــة النــاس، في وحدة إيمانه وثقته بالرحمن الرحيــم، سلــم أمــره كلياً لله، وهذا يعنــي أن هذا الدعــاء يكشف عن كل الثقة والاطمئنان اللذين استقاهما محمد ﷺ من صلته بربه الأقرب إليه مــن حبل الوريد، هذا الدعاء، الذي اشتهر بين المسلمين، يفصح عن عجز

البشرية وعن قوة الرسول الروحية الخارقة، لقد كان يعرف، رغم ما بدا من أنه وحيد ولا نصير له، أنه لم يكن وحيداً.

كان صاحبا البستان قد شاهدا محمداً ﷺ عن بُعد عند دخوله البستان، وشاهداه وهو يرفع يديه ويدعو الله. فأرسلا عبدهما عدَّاساً، وهو شاب نصراني، ليأخذ له عنقوداً من العنب، وعندما أعطاه عداس العنب، سمعه يقول، (بسم الله)، (أتوكل على الله). أصيب عداس بدهشة شديدة وسأل عن هوية هذا الرجل، الذي قال كلمات لم يكن -وهو النصراني- قد سمع أحدًا من الوثنيين يتفوه بها، وسأله محمد ﷺ عن بلده فأجابه عداس بأنه من نينوى، فقال النبي ﷺ: «هذا بلد يونس ابن متى» . فذهل الشاب وتعجب من استطاعة هذا الرجل معرفة ذلك، وبعد أن أخبر عداس محمداً ﷺ بأنه نصراني، سأل عداس محمداً ﷺ بدوره عمن يكون، وكيف حصل على تلك المعلومات، فقال له النبي ﷺ: «إن يونس أخي، فهو نبي وأنا نبي»(9).

حدّق عداس في وجهه قليلاً ثم قبّل رأسه ويديه وقدميه، فأثار ذلك حنق سيديه، فعندما عاد إليهما قال لهما إن ما يعرفه هذا الرجل لا يعرفه إلا نبي. اعتنق عداس الإسلام على الفور، بعد مناقشة استغرقت بضع دقائق. كان ملك الحبشة النصراني قد اكتشف على الفور الصلة بين الرسالتين، والآن فقد شاركه عبد شاب، نصراني أيضاً، في حدسه، وهكذا فقد لقي محمد ﷺ في طريقه مرتين، وهو يعاني من الحزن والعزلة، نصارى أولوه الثقة والاحترام والمأوى: أحدهما ملك رحب بالمسلمين ومنحهم الأمن، والثاني عبد خدم نبيهم عندما رفضه الجميع وأنكروا رسالته.

ثم انطلق النبي ﷺ عائداً إلى مكة، في طريقه لقي فارساً وطلب إليه أن يسأل أحد وجهاء مكة الذي كان يمت إلى الفارس بصلة القرابة، إن كان يوافق على أن يجير محمداً ﷺ قبل الفارس لكن وجيه مكة رفض، وكذلك رفض زعيم آخر كان محمد ﷺ يسعى إلى نيل حمايته. ولم يكن النبي ﷺ يرغب في دخول مكة في تلك الظروف ولجأ إلى كهف حراء، حيث نزل عليه الوحي في المرة الأولى، وأخيراً أجاره رجل ثالث واسمه مطعم وهو أحد زعماء عشيرة نوفل ووافق على حمايته وحيّاه عند الكعبة لإشهار حمايته له.

الإسراء

كان النبي ﷺ يحب الذهاب إلى الكعبة ليلاً، كان يقف هناك ويصلي ساعات طوالاً، وفي إحدى الأمسيات، شعر فجأة بتعب شديد واستغرق في النوم[10].

قال محمد ﷺ بعد ذلك أن جبريل أتاه وهزه مرتين ليوقظه، لكن محمداً ﷺ ظل نائماً، وفي المرة الثالثة التي هزه جبريل فيها آفاق محمد ﷺ وقاده جبريل إلى باب المسجد، حيث كان حيوان أبيض (بين البغل والحمار، لكن كان له أجنحة) ينتظرهما، فركب ذلك الحيوان، الذي دعي بالبُراق وانطلق مع جبريل إلى القدس، هناك قابل محمد ﷺ مجموعة من الأنبياء الذين سبقوه (إبراهيم، وموسى وغيرهما) وصلى بهم عند موقع المعبد، بعد الصلاة، رُفع محمد ﷺ مع جبريل إلى ما يتجاوز المكان والزمان، وفي طريقه، عبر السماوات السبع، قابل ثانية

مختلف الأنبياء، ونفذت رؤيته وجمال تلك الآفاق إلى صميم كيانه. وأخيراً وصل إلى سِدرة المنتهى، وهناك تلقى النبي ﷺ فرض الصلوات الخمس اليومية والآية التي وضعت عناصر العقيدة الإسلامية[11]:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[12].

وعاد جبريل والبراق بمحمد ﷺ إلى القدس ومن هناك إلى مكة، وفي طريق عودته شاهد بعض القوافل المتوجهة إلى مكة أيضاً، وكان الوقت لا يزال ليلاً عندما بلغا جوار الكعبة فغادر جبريل والبراق وتوجه النبي ﷺ إلى بيت أم هاني ـ رضي الله عنها ـ وهي من أخلص صحابته، فقص عليها ما حدث له، وأشارت عليه بأن لا يحدث أحداً بذلك، وهو ما رفضه محمد ﷺ وقد أورد القرآن فيما بعد هذه التجربة في موضعين مختلفين، أحدهما في سورة الإسراء التي أشارت مباشرة إلى الحدث:

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[13].

كما وردت أيضاً في سورة النجم:

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ

أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ
ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا
زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾(14).

أثار الإسراء والمعراج العديد من التعليقات، عندما سرد النبي ﷺ الوقائع، ولاحقاً لدى علماء المسلمين، فعندما ذهب محمد ﷺ إلى الكعبة وحدث عن تجربته، أطلق ذلك سيلاً سريعاً من السخرية والاستهزاء والنقد، فقد رأت قريش أنه أصبح لديها أخيراً برهان على أن هذا النبي المزعوم كان مجنوناً في حقيقة الأمر؛ لأنه تجرأ على الزعم بأنه قطع في ليلة واحدة السفر إلى مدينة القدس (التي تحتاج بحد ذاتها إلى عدة أسابيع) وأنه، علاوة على ذلك، فقد عرج إلى الله الواحد الأحد، فهذا جنون واضح.

كانت تجربة ليلة الإسراء، التي تحدثت عنها الروايات الكلاسيكية عن حياة النبي ﷺ بوصفها هبة من الله وتثبيتاً للرسول المصطفى، اختباراً حقيقياً لمحمد ﷺ ومن حوله، فقد رسمت الحدود بين أولئك المؤمنين الذين كان إيمانهم يتجلى في ثقتهم بالنبي ﷺ ورسالته، والآخرين، الذين ذهلوا جراء كون تلك القصة أبعد ما تكون عن الاحتمال، وقد سارع وفد من قريش إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألونه عن صديقه المجنون الذي فقد عقله، لكن إجابته الفورية والمباشرة أثارت دهشتهم: «لئن كان قال ذلك فقد صدق!» لقد كان إيمان أبي بكر رضي الله عنه وثقته على درجة من القوة

والثبات بحيث إنه لم يتأثر بما قالوه ولو لثانية واحدة، وبعدها ذهب يسأل النبي ﷺ الذي أكد له الوقائع فكان أن قال أبو بكر رضي الله عنه بقوة: «إني أصدقك فأنت تقول الحق دائماً»[15]. منذ ذلك اليوم أطلق النبي ﷺ على أبي بكر لقب «الصديق».

لقد حدثت واقعة الإسراء في وقت كان فيه المسلمون يعانون من وضع في غاية الصعوبة، وقد جاء في الأثر أن بضعة من المسلمين ارتدوا عن الإسلام، لكن الغالبية العظمى صدقوا محمداً ﷺ. وبعد بضعة أسابيع، أكدت الوقائع بعض عناصر روايته، مثل وصول القافلة التي كان قد تحدث عنها (حيث إنه رآها في طريق العودة) ووصفها وصفاً دقيقاً. بهذا الإيمان القوي من جانب جماعة المسلمين، استطاعوا مواجهة الشدائد التي كانت تنتظرهم لاحقاً، فمنذ ذلك الوقت أصبح عمر ابن الخطاب وأبو بكر – رضي الله عنهما – يحتلان مركز الطليعة لهذه القوة الروحية.

تساءل العلماء المسلمون، منذ البداية، عما إذا كان الإسراء بالروح أو بالروح والجسد، على أن هذا الموضوع ليس أساسياً إذا ما نظرنا إلى الدروس التي يمكن استقاؤها من هذه التجربة الخارقة التي تعرض لها النبي ﷺ. هناك بالطبع، قبل كل شيء مركزية مدينة القدس: في ذلك الوقت كان النبي ﷺ يصلي مستقبلاً المدينة المقدسة (القبلة الأولى للصلاة) وقد صلى بالأنبياء عند موقع المعبد في ليلة الإسراء، وهكذا فإن القدس تبدو في صميم تجربة النبي ﷺ وتعاليمه بوصفها رمزاً مزدوجاً، لكل من المركزية (اتجاه القبلة) والعالمية (الصلاة بجميع الأنبياء). وقد

تغيرت القبلة لاحقاً في المدينة ـ من القدس إلى الكعبة ـ وذلك لتمييز الإسلام عن اليهودية، لكن هذا لم يقلل بحال من الأحوال مكانة القدس، وقد أقامت الإشارة في الآية آنفة الذكر إلى «المسجد الحرام» (الكعبة، في مكة) و «المسجد الأقصى» (في القدس) صلة روحية ومقدسة بين المدينتين.

أما الدرس الآخر فله جوهر روحي صرف: فقد كان الوحي برمته ينزل على محمد ﷺ طيلة رسالته الأرضية، باستثناء، كما رأينا، الآيات التي أرست أسس الإيمان الأساسية وفريضة الصلاة، فقد عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء ليتلقى الدروس التي كانت ستصبح أساس تعاليم الإسلام وطقوسه، أي العقيدة والعبادة، التي تقتضي من المؤمنين قبول شكلها وجوهرها[16]. فخلافاً لمجال الشؤون الاجتماعية (أي المعاملات)، التي تنطوي على التوسط المبدع لفكر الناس وذكائهم، فإن العقلانية البشرية هنا تخضع، باسم الإيمان وكتطبيق لمبدأ التواضع لله، لأمر الوحي: لقد فرض الله واجبات ومعايير يتعين على الفكر أن يصغي إليها ويطبقها وعلى القلب أن يحبها، فبعد أن عُرج بالنبي ﷺ لتلقي الأمر بفريضة الصلاة، بيّن النبي ﷺ من التجربة التي مرّ بها ما يجب أن تكون الصلاة عليه في جوهرها: فهي تذكرة بالعلي الأعلى وعروج إليه، خمس مرات في اليوم، بغية الانصراف عن الذات، وعن العالم، وعن الأوهام، فالمِعراج، إذاً هو أكثر من مجرد النموذج الأصلي للتجربة الروحية، فهو حافل بالمعنى العميق للصلاة، التي تمكننا، من خلال الكلمة الأزلية، من تحرير وعينا من الأمور الطارئة للزمان والمكان، وفهم معنى الحياة والحياة فهماً كاملاً.

إلى المنفى

الزمـن هـو عـام (620 م)، أي بعد سنة من وفـاة زوجة محمد ﷺ، خديجـة ـ رضـي الله عنها ـ وعمه أبي طالـب، وكان زمن الحج السنوي إلى الكعبـة وموسم سوق مكة السنوية يقـترب، وكان محمد ﷺ لا يزال ينشـر رسالتـه في جو من الرفض والاستبعـاد والاضطهاد وكان نحو مئة مـن المسلمين يعيشون في حماية الحبشة، لكـن لم يكن يلوح في الأفق حل للمسلمين الذين يعيشون في مكة.

وبدأ الحجـاج القادمون من جميع مناطق الجزيرة يصلون إلى مِنى، حيث يمكثـون فيها طيلة مدة الموسـم، وكان محمد ﷺ يذهب إلى ذلك المكان ويدعو إلى دينه النساء والرجال الذين كانوا قد سمعوا به وهم في أماكنهـم لكنهم لم يكونوا يعرفـون مضمونه على وجه التحديد. ولم يكن دائماً يلقى استجابة إيجابية.

وفي العقبة، ليس بعيداً عن مِنى، قابل النبي ﷺ جماعة من أهل يثرب كانوا ينتمون إلى قبيلة الخزرج، هي إحدى القبيلتين الكبيرتين المتناحرتين في يـثرب (والثانية هي قبيلة الأوس)، وأخذ يعرض عليهم رسالته، وكانوا قد سبق لهم أن سمعوا عن الرسالة من القبائل اليهودية التي كانت تعيش في مدينتهم، ويرغبون في معرفة المزيد عنها.

فاستمعـوا إلى النبـي ﷺ وبعـد ذلك قبلـوا رسالة الإسـلام: ووعدوا بإخبـار أفراد قبيلتهم بشأن جوهر الرسالة وبالبقاء على اتصال دائم مع النبي ﷺ [17]. ثم عادوا إلى مدينتهم وأخذوا يبشرون بالرسالة فيها.

وفي مكة، كان عدد الذين يدخلون في الإسلام يتزايد وواصل النبي ﷺ نشر دعوته، وفيما يخص حياته الشخصية، أشار عليه الكثيرون بأن يتزوج ثانية، لكن النبي ﷺ لم يتابع الموضوع رغم الاقتراحات. لكنه كان قد رأى في المنام رؤيتين تضمنتا عرض عائشة صغيرة السن، وهي ابنة أبي بكر رضي الله عنه، والتي كانت في ذلك الوقت في السادسة من العمر، ليتزوجها. وعندما أشارت عليه خولة، التي تولت رعاية احتياجات النبي ﷺ منذ وفاة خديجة — رضي الله عنها — أن يتزوج ثانية واقترحت عليه اسمين: سودة، وهي أرملة في الثلاثينيات من العمر كانت قد عادت مؤخراً من الحبشة، وعائشة، ابنة أبي بكر رضي الله عنه — وجد محمد ﷺ في هذه المصادفة العجيبة دليلاً على صدق الرؤيتين، وطلب إلى خولة أن تفعل اللازم للتأكد من أن الزواج من الاثنتين ممكن، كان تعدد الزوجات مألوف عند العرب في ذلك الوقت، وكان وضع النبي ﷺ هو الشاذ عن القاعدة، إذ إنه ظل متزوجاً من واحدة طيلة خمس وعشرين سنة، كان الزواج من سودة سهل التحقيق، فقد أجابت سودة على الفور مرحبة بعرض الزواج وتزوجا بعد بضعة شهور، أما عائشة - رضي الله عنها - فقد كان أبوها قد وعد، حسب التقاليد العربية، بتزويجها من ابن مطعم، وكان عليه أن يتفاوض مع مطعم من أجل إلغاء الارتباط، بعد ذلك أصبحت عائشة - رضي الله عنها - رسمياً زوجة محمد ﷺ الثانية، وإن كان الزواج لم يتم إلا بعد عدة سنوات.

بعد سنة، كان الحجاج والتجار يندفعون أفواجاً إلى مكة من أجل احتفالات 621، وتم ترتيب اجتماع ثان عند العقبة بين النبي ﷺ ووفد يثرب الذي أتى للإبلاغ عن تطور الوضع في مدينتهم، وقد شارك في

الاجتماع عشرون فرداً مـن يثرب، اثنان منهم ينتمون إلى عشيرة الأوس: فقـد عاهدوا النبـي ﷺ على الولاء، مؤكدين أنهم لـن يعبدوا سوى الإله الواحـد، دون غيره، وأنهم سوف يلتزمون بأوامر الإسلام ونواهيه، فكانوا يشكلون الجماعة الإسلامية الأولى.

وأرسل محمد ﷺ معهم أحد الصحابة، مصعب بن عمير رضي الله عنه، الذي كان قـد عاد للتـو من الحبشة والـذي اشتهر بالهـدوء والحكمة وجمال تلاوته للقرآن.

عندما رجع الوفد إلى يثرب دأبوا على نشر الرسالة، كان مصعب رضي الله عنه يعلمهـم أصول الإسلام ويتلـو عليهم القرآن ويجيب عـن أسئلتهم. ورغم الانقسامـات القديمـة التي كانت لا تزال حادة بـين الأوس والخزرج، فقد دخـل أفراد القبيلتـين في الدين الجديد وأدركـوا أن خصوماتهم السابقة أصبحـت غـير ذات معنـى: فقـد وحدتهـم رسالة الأخـوة التي جـاء بها الإسـلام، على أن زعماء العشائر ظلـوا مترددين في اعتناق الإسلام. ولم يكـن مصعب رضي الله عنه يتأثـر بمهاجمتهم ولا بموقفهم العدائـي، بل كان دائماً يقـول «أو تجسلـون وتسمعون، فـإن رضيتم أمـراً قبلتمـوه، وإن كرهتموه فكفـوا عنه ما تكرهون»(18). وكانت النتيجة أن ازداد عدد الذين دخلوا في الإسلام، حتى من بين الزعماء.

في حـج السنة القادمة اجتمع النبـي ﷺ بوفد مهم من مسلمي يثرب، كان يضـم ثلاثة وسبعـين شخصاً، من بينهم امرأتـان. وكانوا من الأوس والخزرج وقدموا ليبشروا النبـي ﷺ بانضمامهم إلى الإسلام والتزامهم به. وبعد بعض المناقشات بشأن مستقبل علاقاتهم، أبرموا عهداً ثانياً نص

على أن يقوم مسلموا يثرب بحمايته هو وبقية المسلمين من نساء وأطفال مكة المسلمين، هذه البيعة الثانية التي نصت على منح اللجوء والحماية وتعهد مسلمي يثرب بمساندة إخوانهم المكيين، فتح أمام النبي ﷺ المجال لمستقبل واعد، فمنذ ذلك الوقت، أخذ محمد ﷺ يشجع المسلمين على الهجرة إلى يثرب خلسة، بينما بقي أقرب أصحابه إلى جانبه في مكة.

مع غير المسلمين

كان محمد ﷺ يحتفظ دائماً بعلاقات قوية مع أفراد مختلف العشائر ومع أهله الذين لم يعتنقوا الإسلام، والمثال على ذلك عمه أبو طالب الذي كان يحبه وظل بقربه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وبقي عمه الآخر، عباس، ملازماً للنبي ﷺ رغم أنه لم يكن قد اعتنق الإسلام بعد، وكان محمد ﷺ يثق به ثقة كبيرة، ولم يكن يتردد في أن يُسِرَّ إليه أو يشركه في الاجتماعات الخاصة التي تتعلق بمستقبل الجماعة (وقد حضر عباس لاحقاً بيعة العقبة الثانية، وكان النبي ﷺ يُسِرّ إليه بالاستعدادات بلغة السرية المتعلقة بهجرته إلى يثرب). ولم يكن بقاؤه على الوثنية يمنع النبي ﷺ من إظهار عميق احترامه له وثقته الكبيرة في الحالات التي كانت حياته معرضة فيها للخطر.

لقد كان هذا الموقف من الثقة هو الذي مكّن المسلمين من الهجرة إلى الحبشة، بحماية ملك كان النبي ﷺ يثق به رغم أنه لم يكن مسلماً، فقد أقام علاقاته على أساس الثقة ومبادئ الاحترام، لا حصرياً على أساس الانتماء الديني. وقد فهم أصحابه ذلك فهماً صحيحاً، ولم يترددوا في إقامة علاقات متينة مع غير المسلمين باسم القرابة أو الصداقة، على أساس

الاحترام والثقة المتبادلين، حتى في الأوضاع التي كانت تنطوي على الخطر. وهكذا فقد وجدت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ التي انفصلت عن زوجها، نفسها وحيدة مع ابنها وهي في طريقها إلى المدينة، وقد عرض عثمان بن طلحة، الذي لم يكن مسلماً أن يرافقها ويحميها حتى تصل إلى المكان الذي كان زوجها فيه، فلم تتردد في الثقة به: فرافقها هي وابنها إلى مقصدهما، ثم ودعهما بكل احترام، وكانت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ تسرد هذه القصة مراراً وتكراراً، وتشيد بنبل أخلاق عثمان بن طلحة رضي الله عنه.

ثمة أمثلة كثيرة من هذا الطابع، ولم يكن النبي ولا بقية المسلمين يقصرون علاقاتهم الاجتماعية والإنسانية على من كانوا من دينهم. وقد ثبت القرآن لاحقاً صحة مبدأ تلك العلاقة التي تقام على أساس الاحترام المتبادل:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[19].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه نموذجاً للإنصاف إزاء الذين لم يكونوا من دينه. فطيلة سنوات بعثته، استمر في تلقي الودائع من التجار غير المسلمين الذين ظلوا يتعاملون معه ويولوه كامل الثقة. وعشية مغادرته إلى المدينة، طلب محمد صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه أن يعيد كافة الودائع التي كانت لا تزال في عهدته إلى أصحابها فرداً فرداً، وقد ظل يطبق بدقة مبادئ الأمانة والعدل

التي علمه إياها الإسلام مع كل من تعامل معه، سواء أكان من المسلمين أم من غير المسلمين.

وفي هـذه الحقبة نفسها، أظهر النبي ﷺ موقفاً ليناً إزاء الذين تركوا الإسـلام، جراء الاضطهاد والضغط من جانب أسرهم، كان هذا هو حال اثنـين من شباب المسلمين، هما هشام وعياشـ، اللذان تخليا عن الإسلام بعـد مقاومة طويلة الأمد، فلم يتم اتخـاذ أي قرار أو عقوبة ضدهما، وقد عاد عياشـ لاحقاً إلى الإسلام وهو نادم أشد الندم ومليء بالحزن. وجاء الوحي لاحقاً للتخفيف من رؤيته وحكمه القاسيين على نفسه:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[20].

وعندما سمـع هشام هذه الآيات، عاد هو أيضاً إلى الإسلام، لكن أحد الذين لم يرجعوا كان عبيد الله بن جحش، الذي كان قد ذهب إلى الحبشة مع المجموعة الأولى من المهاجرين ثم تحول إلى النصرانية وترك زوجته، أم حبيبة بنت أبي سفيان[21].

لم يقـم النبـي ﷺ، من مكـة، ولا أحد مـن المسلمين الذيـن كانوا في الحبشـة، باتخـاذ أي إجراء ضده: فقد ظل نصرانيـاً إلى أن وافته المنية، دون أن يتعرضـ إلى أي مضايقـة أو سوء معاملة، ظـل هذا الموقف المتمثل باحـترام حرية كل شخص ملازماً للنبي ﷺ طيلة حياته، ولم تتضمن أي

روايات موثوقة عن حياته أي ذكر لموقف مختلف، لكنه تحدث بشدة لاحقاً في المدينة، واتخذ إجراءات صارمة ضد المنافقين الذين تظاهروا باعتناق الإسلام بدافع مجرد جمع المعلومات عن المسلمين، ثم تخلوا عن الإسلام وعادوا إلى قبائلهم بالمعلومات التي استطاعوا الحصول عليها. هؤلاء هم في الواقع خونة حرب، استحقوا عقاب الموت لأن أعمالهم كانت ترمي إلى تدمير الجماعة الإسلامية.

الإذن بالهجرة

كان آخر الذين أجاروا النبي ﷺ (مطعم) قد توفي حديثاً، وأصبحت الأوضاع شديدة الصعوبة، وكان القرشيون الذين اكتشفوا أن المسلمين بدؤوا يغادرون مكة، قد أصبحوا بدورهم أشد عنفاً في مقاومتهم للمسلمين. وقرر زعماء العشائر أن يتحدوا وقرروا استناداً إلى تحريض أبي لهب وأبي جهل، بأنه يجب القضاء على النبي ﷺ كانت خطتهم تقضي بتكليف قاتل من كل عشيرة ليمنعوا بني هاشم من الثأر والمطالبة بالديّة. واتفقوا على عدم إضاعة الوقت، وأن عليهم التخلص من النبي بالسرعة الممكنة.

كان جبريل قد جاء ليؤكد للنبي ﷺ معنى رؤيا كان قد رآها قبل بضعة أيام، حيث رأى في المنام مدينة مزدهرة تظهر وترحب به. قال له جبريل بأن عليه الاستعداد للهجرة إلى يثرب وأن يصحب معه أبا بكر رضي الله عنه. انطلق محمد ﷺ ليبشر أبا بكر رضي الله عنه بالنبأ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه فرحاً، على أنه كان لا يزال عليهما ترتيب التفاصيل النهائية لرحلتهما. كانا قد سمعا أن قريشاً قد وضعت خطة للتخلص من النبي، فطلب محمد من علي رضي الله عنه أن يرقد في فراشه في الليلة اللاحقة وألا يغادر مكة حتى يأمره بذلك.

اختبأ الذين كانوا يرومون قتل النبي ﷺ أمام البيت وانتظروا خروجه، مثلمـا كان يفعل عادةً، لصلاة الفجر، وعندما سمعوا صوتاً داخل البيت، ظنـوا أن محمـداً ﷺ قد نهض وأنـه يستعد للخروج، وكانـوا على وشك القيام بالهجوم عندما أدركوا أنهم خُدِعوا، وأن الرجل الذي في البيت هو ابـن عمه علي رضي الله عنه. وهكذا فقد فشلت خطتهم. في غضون ذلك كان النبي ﷺ قـد توجه إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه بعـد أن كان قد أنهى آخر التفاصيل المتعلقة بمغادرته إلى يثرب.

opeikandi.com